دور مهارات قراءة القصص فى تنمية قدرات الطفل المتأخر ذهنيًا

أ. ريم الشريف
أستاذ مساعد للتعليم العالى
كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقيروان ـ تونس

أدب الأطفال هو أدب واسع المجال، متعدد الجوانب، ومتغير الأبعاد طبقًا لاعتبارات كثيرة. فأدب الأطفال لا يعنى مجرد قصة أو حكاية أو شعر، وإنما يشمل المعارف الإنسانية كلها. فتاريخ أدب الأطفال لا يمكن فصله عن تاريخ الطفولة؛ لأن الطفل (أو الطفلة) يتكون من خلال النصوص والحكايات التى يدرسها أو يسمعها ومن ثم يعيدها.

إن أدب الأطفال ليس له مجالٌ محدود بحوافز معينة؛ إذ يقتصر فيه على المنفعة القائمة على تحقيق المعرفة، ولا يهمه شكل هذا الأدب بعينه، يسمو بكل شيءٍ يمكن أن يكون له صلة بالطفل" فأدب الأطفال هو أدب واسع المجال، متعدد الجوانب، ومتغيَر الأبعاد طبقًا لاعتبارات كثيرة مثل : نوع الأدب والسن الموجِه إليها هذا الأدب وغير ذلك من الاعتبارات، فأدب الأطفال لا يعنى مجرد قصة أو حكاية أو شعر، وإنما يشمل المعارف الإنسانية كلها"[١].

يعتبر العصر الحديث عصر أدب الأطفال بكافة وسائله المقروءة والمسموعة، وخاصة إذ ما قلنا القصة وهى من أحب ألوان الأدب عند الأطفال فهى تُعد عملاً تربويًا مهمًا فى تعليمه التعبيرى؛ إذ تزوده بالكثير من الحقائق والمعلومات والقيم التربوية والأخلاقية، وتفتح أمامه أبواب الثقافة، وتشبع خياله، وتنمى تراكيبه اللغوية.

تعتبر فعالية قراءة القصة للأطفال من فعاليات التفاعل الاجتماعى الطبيعية لصغار السن؛ فهى تساهم فى تطوير قدراتهم الذهنية والكلامية. فالقراءة هى فعالية رسمية عند الغرب عادة دأبَ عليها الأهل قبل النوم. فالقراءة تربط الطفل مع العالم الحقيقى الذى يعيش فيه، وتمكنه من الاطلاع على الأحداث التى تجرى فى المحيط الخارجى، وخاصة أن الأطفال اليوم يعيشون عالمًا متطورًا مليئًا بالأنشطة منها الإيجابى ومنها السلبى، عالم جعل الطفل يعيش نوعًا من التمزق الأسرى والاجتماعى، يولد له شعور بالغربة حتى داخل الأسرة فى حد ذاتها. هذا التمزق ولَّد العديد من المشاكل، منها النفسى الذى يحبط الطفل وخاصة الذى يحمل إعاقة منذ الولادة، هذه الإعاقة التى يمكن أن تكون لها عدة عوامل منها الوراثى، أو الناتج عن مرض. لذلك الطفل المعاق ذهنيًا أو الطفل ذو الاحتياجات الخاصة تكون له عديد الموانع التى تمنعه من ممارسة حياته العادية كاللعب، أو المشاركة فى الحياة الاجتماعية كالدراسة وغيرها من الأنشطة، وتجعله غاية فى الحساسية، لذلك يجب على المجتمع أن يتعامل مع هذا الكائن الصغير بكل لطفٍ، ويبحث فى داخله على ما يمكن أن

---

[١] إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافى: أدب الأطفال المنظوم (شعر الأطفال اتجاهاته ونقده) مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية (د.ط)، ٢٠٠٩-٢٠٠٨ ، ص١٨.

يساعده ويُدْخِل البهجة والسرور إلى قلبه. لذلك ارتأينا أن قراءة القصة للطفل فى أوقاتٍ معينة تجعله يدرك ما حوله وخاصة النوع والأسلوب المنتهج فى قراءة محتوى هذه الأخيرة، فالقصة تُعد من أهم العناصر التى تجعل الطفل يفك رموز عالمه الصغير، فكانت القصة فى القديم تقدم على شكل حكايات ترويها الجدة إلى أحفادها تستعمل فيها أسلوب التشويق والمغامرة لتشد انتباه الأطفال، أما فى القرن الحالى فأصبحت القصة التى تقرؤها الأم فى الليل وتداعب فيها خياله وتمرر له بعض النصائح بشكلٍ تجعل الطفل يتذكر ما روته له.

لذلك سنطرح بعض التساؤلات: ما المهارات التى يجب أن يستعملها الراوى فى سرد القصة وخاصة أن المستهدف هو طفل معاق ذهنيا؟

وثانيًا أى نوع من الأدب يجب تقديمه لهذه الفئة؟

وثالثًا وليس آخر الآمر كيف ستعمل القصة على تنمية مهارات وقدرات الطفل المتأخر ذهنيًا؟

وسنتبع فى هذه الدراسة المنهج التحليلى لنماذج من القصص وهى:

١- Le loup qui ne voulait plus marcher.

٢- Je Découvre les Transports.

١ـ نشأة أدب الطفل:

أدب الأطفال كان عبارة عن أساطير وخرافاتٍ، بدأ بالظهور إلى الساحة الأدبية عبر العديد من المراحل التى اختلفت حسب الجنس والنوع والأسلوب. ففى الأدب العربى بدأ بقصص التراث ثم الترجمة ثم التأليف.

إن أدب الأطفال هو كل ما يتصل بالأطفال من حيث تنشئتهم الاجتماعية، أى كل ما يحيط بفلكِهم، خارج دائرة المدرسة وفى حدود المعقول المتصل بفكرهم وأعمارهم. حيث يقول "الهيتى" وعليه فإن أدب الأطفال هو مجموعة الإنتاجيات الأدبية المقدمة للأطفال التى تراعى خصائصهم وحاجاتهم ومستويات نموهم، أى أنه فى معناه العام يشمل كل ما يُقدَم للأطفال فى طفولتهم من مواد تجسد المعانى والأفكار والمشاعر."[١] أيضًا يقول "ماركس وارتوفسكى" Mart Wartofsky فيلسوف القرن العشرين: "ما يعدَه الآخرين وما يعودون أنفسهم عليه، خلال اتصالهم الاجتماعى وتفاعلهم مع الآخرين"[٢]. فمهمة أدب الأطفال إعطاء معنى للأشياء ولم يكن من قبيل الصدفة أن أحد الأنواع الأدبية التى برزت مع ظهور الكتابات "جون لوك" التى عمل فيها على الدفاع عن الإنسان، وخاصة عن الوظيفة التى يؤديها العقل البشرى. فخلال تاريخ أدب الأطفال، كان البنون والبنات يحصلون على تعليم

---

[١] هادى نعمان الهيتى: ثقافة الأطفال، عالم المعرفة، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والأدب، الكويت، العدد١٢٣، ١٩٩٨، ص ١٤٨.

[٢] Max Wartofsky, the child's construction of the word and the world's construction of the child from historical epistemology to historical psychology in the child and other cultural invention, ed,F,S, Kessel and A.W Sigel . New York. Praeger,١٩٨٣,P ١٩٠

الأسلوب [١] The Style، ومنذ زمن الرومان ومَن سبقهم، كان يتم التعليم القديم للسلوك الاجتماعى فى إطار الأسرة، ومع العبيد، فالأسلوب كان يجمع معًا اليد والفكر والتغبير والمخيلة. وفى التاريخ الباكر للغة الإنجليزية كانت الكلمة توحى بأى شىءٍ من أشكال السلوك الاجتماعى، قال تعالى: "نحن نقُصُ عليك أحسنَ القصص بما أوحينا إليك هذا القران وإن كنتَ من قبله لمن الغافلين."[٢] فلأدب الأطفال دورٌ فى تنمية شخصية الطفل بكل جوانبها النفسية والاجتماعية واللغوية عن طريق إسهامه فى نموهم العقلى والنفسى والاجتماعى والعاطفى واللغوى وتطور مداركهم واعتناء حياتهم بالثقافة التى نسميها ثقافة الطفل.

فى حين تطرق المستشرق "نالينو" أثناء دراساته للأدب العربية، خاصة عندما تتبع مسار نشأة كلمة "أدب" من خلال ترجيحه لمفهوم كلمة أدب أنها" اشتُقت من كلمة دأبَ التى تَردُ بكثرة فى الشعر الجاهلى، ومعناها العادة والملازمة أو السُّنَّة المحمودة فى مجتمع من المجتمعات، ثم جمع لفظ "دأبَ" كما يجمع بئر على آبار ثم مَضَى زمنٌ طويل كثر فيه استعمال الجمع" آداب" دون المفرد "دأب" الذى نَسيَه الناس، وحين أرادوا استعمال صيغة المفرد اشتقوا من ذلك الجمع المتداول صيغة مفردة جديدة هى "أدب"[٣]. فى حين يؤكد إسماعيل عبد الفتاح على أن أدب الأطفال هو ذلك الأدب الذى قوامه القدرة على حَمْل العالم إليهم بأسلوبٍ شيق وممتعٍ، ويستلزم أن تكون له فى نهاية المطاف نتائج وثمرات من خلال التفاعل مع الحياة التى يعيشونها فيخلق جوًا من الإشكاليات التى لها مسار للبحث عن مكوناتها وإبهاماتها.

إن أدب الأطفال هو ذلك الأدب الخاص والموجَّه للأطفال بدقة، والذى تتبلور فيه بنية فنية وأسلوبية وفق خصائص الأطفال ومكانتهم ووفق مستوى قدراتهم المتعددة. إن أدب الأطفال لا يختلف كثيرًا عن أدب الكبار؛ فكلاهما "فنٌ" مادتهُ اللغة، وطبيعته التخيُل، يتجسد فى أنساق وممارسات فنية منسوخة الأجناس الأدبية المألوفة، وبالتالى فهو يتدرج عمومًا من حيث المادة والطبيعة والأنساق الفنية. وبالتالى يمكن القول إن أدب الأطفال يختلف عن أدب الراشدين بأنه يمتاز عنه بمخاطبته وتركيزه على فئةٍ معينة من المجتمع، وهى فئة الأطفال وخاصة الأطفال ذوى الإعاقة، لذلك يجىء الاختلاف بينهما تبعًا لاختلاف العقول والإدركات والخبرات من حيث نوعها وكمِها.

---

[١] الأسلوب يعرفه شارل بال مؤسس "علم الأسلوب" أنه يتمثل فى مجموعة من عناصر اللغة المؤثرة عاطفيًا مع المستمع أو القارئ، ومهمة علم الأسلوب لديه هو البحث عن القيمة التأثيرية، عنصر اللغة المنظمة والفاعلية المتبادلة بين العناصر التعبيرية التى تتلاقى لتشكيل نظام الوسائل المعتبرة". صلاح فضل: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، دار الشرق، ط١، ١٩٩٨، ص٩٧.

[٢] الآية ٣ سورة يوسف.

[٣] عبد العزيز نبوى، دراسات فى الأدب الجاهلى، مؤسسة المختار، القاهرة (ج . م . ع) ط١، ٢٠٠٤، ص١٠.

٢ـ القصة:

هى إحدى فنون أدب الأطفال المميزة، والتى يتمتع بها الأطفال، لقد وجِدت القصة منذ أن وجِدَ الإنسان وهى محل إعلام للكبير والصغير، فكانت مركز إشعاعٍ وتنويرٍ وتعليمٍ، وهى مظهر من مظاهر بناء الشخصية؛ فهى من أحب الفنون إليه "فالقصة بالنسبة إليه هى لونٌ من ألوان اللهو، فلا يملُ تكرارها كونها تبعث فى نفسه الهدوء والسكينة، وتُشكل متنفسًا لطاقته المتفتحة، أو تدريبًا لخياله وذهنه وعواطفه وانفعالاته، كما تشكل ميدانًا لتدريبه بطريقة غير مباشرة على تكوين بعض العلاقات الاجتماعية بينه وبين الآخرين"[١].

فالقصة تُعد من الأساليب الحديثة فى تنشئة الطفل وتربيته، ولها قدرة على جذب انتباه الطفل والاستحواذ على تركيزه وقدرتها على تناول الموضوعات، وللقصة دورٌ مهمٌ فى فض العدوان، وذلك من خلال عرض القصص وتعديل السلوك خلال سرد الأحداث. وتُعد القصة الشعبية من المصادر الرئيسية لأدب الأطفال يعتمد عليها الطفل فتثرى خيالاته ومعارفه، ويُقصد بالقصة الشعبية كل صفةٍ أو نموذجٍ من الحكايات المكتوبة أو المنطوقة كقصة الهلالى، قصة ألف ليلة وليلة وغيرها من النماذج. فللقصة أهمية واضحة فى مساعدة الأطفال على التعامل مع مشاعرهم؛ لأنهم لا يملكون استراتيجيات التكيف الدبلوماسية التى يتعامل بها الكبار مع المشاعر. فما هى القصة إذن؟

تعريف القصة:

لغة: يعرف اللسان مادة قصص بـ... القص فعل القاص إذا قاص القصص، والقصة معروفة، ويقال فى رأسه قصة، يعنى جملة من الكلام، ونحوه قال تعالى: "نحن نقُصُ عليك أحسنَ القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنتَ من قبله لمن الغافلين."[٢] أى نبين لك أحسن البيان، ويُقال قصصتُ الشىء إذ اتبعت أثرهُ[٣]، أما اصطلاحًا تعرفها د. عزيزة مريدن بأنها: "شكل من أشكال التعبير تتبلور فيه أذكى المشاعر وتتجلى فيه شتى التوازع والعواطف من إنسانية وقومية وتاريخية واجتماعية ووجدانية من خلال سرد حادثة معينة بأسلوبٍ يستحوذ على القارئ أو يثير انتباهه، فيتبعها بشغف، ويسير معها حتى تتأزم المواقف فيها فتصل أحيانًا إلى ذروة التعقيد، فيتطلع عندئذٍ بلهفة إلى حل نهايتها"[٤].

إن النشأة الأولى للقصة كانت عند الغربيين؛ فقد كانت فى فرنسا، حيث يعتبر فيليون (١٦١٥-١٧١٥) من الكتاب الذين ساهموا فى كتابة الحكايات النثرية بعدما كانت تُكتب شعرًا، وبذلك يكون "فيليون" هو الذى اخترع الحكاية النثرية فى نهاية القرن السابع عشر. فى حين يرى بعض الباحثين أن النشأة الحقيقية كانت قائمة على أول ظهور للطفل فى الأدب كان فى حكايات "أمى الإوزة" للأديب الفرنسى (شارل بيروCharles Perault -١٧٠٣

---

[١] مهى جرجور: طفلى ماذا أقرأ له؟ ص١٧.

[٢] الآية ٣ سورة يوسف.

[٣] محمد أديب ألحاجى: أدب الأطفال فى المنظور الإسلامى، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن عمان، ط١، ص ٣٧.

[٤] عزيزة مريدن: القصة الشعرية فى العصر الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص ١٣.

١٩٢٨) التى صدرت عام ١٦٨٧، وضمت ثمانى حكايات منتقاة من مصادر مختلفة من بينها سندريلا، وذات القبعة الحمراء، وغيرها من القصص.

أما النشأة عند العرب، فلم يُعنَ الأوائل بالقصص الخاصة بالأطفال، إلا ما كان مذكورًا فى القران الكريم كقصص الأنبياء والرسل أو من خلال ما تقصه الأمهات والأجداد من سيرة (أبو زيد الهلالى) وسيرة المصطفى عليه السلام.

أما فى العصر الحديث، فقد أقبلت الأمة العربية على إعادة القديم والحديث وخاصة التراث الشعبى منذ بداية عصر النهضة العربية الحديثة فى القرن التاسع عشر الميلادى، كما أخذت فى الوقت نفسه من الحضارة الغربية من أدبها وألوانها وثقافتها، وفى هذه الفترة بدأ ظهور القصة فى زمن "محمد باشا" فى مصر عن طريق الترجمة، وكان أول من ترجم كُتابًا لأطفال عن الإنجليزية "رفاعة الطهطاوى" الذى اختير ليكون مسئولاً عن التعليم بعد عودته من باريس. لذلك استوجب على الكاتب معرفة احتياجات الطفل كما يجب عليه معرفة لمن يكتب ولأى شريحة يمكن أن تستقبل الخطاب، ولعل كل مستوى من المستويات الإنسانية تحمل طابعها اللغوى الخاص بها، والذى بدوره مستمد من قاموس خاص بكل شريحة من هذه الشرائح سوءا كانوا كبارًا أو صغارًا. حتى الأطفال الذين يحملون إعاقة، الأطفال الذين لديهم مشكلة فى القراءة فالكتب المطبوعة بالطرق التقليدية تكون فيها إشكالية بالنسبة لهم، لذلك يستوجب أن تكون الكتب بسيطة، كبيرة فى الحجم، ومضمونها يتناسب مع عمره العقلى وليس الزمنى.

فالطفل ذو الإعاقة يستمعُ عقليًا بالقصة مثل أى طفل آخر، ويعتبر وقت القصة من الأوقات المحببة له ويحتاج أن نروى له القصة نفسها التى نقرؤها لزميله غير المعاق، ويجب أن تكون هذه الكتب مشوقة ذات ألوانٍ زاهية وصورٍ واضحة تخاطب جميع حواس الطفل لتوضيح معانيها.

يعيش الأطفال اليوم بعالمٍ متطورٍ ملىء بالأنشطة أحد هذه الأنشطة هى القراءة، فالقراءة هى فعالية رسمية تحدث عند الكثير من العائلات قبل النوم. القراءة تربط الطفل مع العالم الحقيقى وتمكنه من الاطلاع على الأحداث التى تجري فى ثقافات وأماكن مختلفة فى العالم، فقد وجد الباحث الاجتماعى "بورديه" Bourdieu١٩٩١ أن أبناء الطبقة العليا فى المجتمع يتخطون بنجاح متفرقات طرق تربوية أساسية فى حياتهم، وذلك بسبب تزويد الأهل لهم

بثروة ثقافية غنية تتضمن قدرة تنويرية عالمية، وهى القراءة التى تعمل على التنمية العقلية وتسلسل الأحداث ومعرفة الحقائق وإكساب الطفل مفاهيم وقيم اجتماعية جديدة. فكيف لنا إذن أن نفهم أهمية القصة لطفل ذى احتياجات خاصة وبالتحديد المعاق ذهنيًا؟

٣ـ أهمية القصة للطفل المعاق ذهنيًا:

قصة الأطفال أداة تربوية تثقيفية ناجحة فهى تثرى خيرات الأطفال وتنمى مهاراتهم وتكسبهم الاتجاهات، وهى تزودهم بالمعارف والمعلومات، وهى أيضًا وسيلة جيدة لتكريس علاقات وأنماط سلوك إيجابية فى حياة الطفل. إن القصة تُعد من أهم الوسائل التربوية المؤثرة فى تعليم الأطفال المعاقين عقليًا، حيث يمكن للطفل المعاق أن يتعاطف ويتوحد مع شخصيات وأبطال القصة مثل الطفل العادى. فهدف القصة ليس المتعة فقط، وإنما لها مقاصد نفسية وأخرى معرفية مثل الانتباه والتذكر، كما لها أهمية فى تنمية المهارات اللغوية وتعديل السلوك وتؤكد أن الشخصيات السيئة فى القصة تأخذ عقابها فى الأخير.

كذلك من المعايير التى تقوم عليها القصة الموجهة للطفل المعاق أنها تربى الأطفال على روح الانتماء والصبر والعطاء وخاصة القيم الحميدة. كما أنها تسمح للطفل بالتعبير وخاصة إذ ما تم سرد القصة بأسلوبٍ شيق وممتعٍ، مما يجعل الطفل يستوعب المعنى من الحكاية كالمثال التالى الذى استعمل فيه السمع والنطق والصورة.

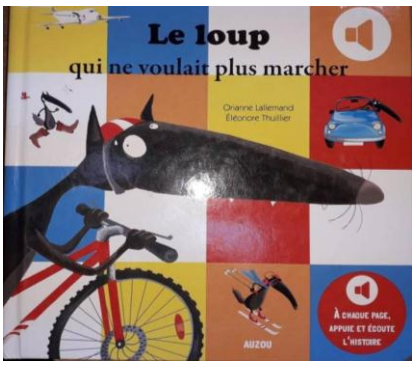

فعلى غلاف الصورة نجد صورة ذئب، ألوان زاهية، وكلمات كُتبت بالبنط العريض، فى الأول الطفل يشده الغلاف لما فيه من مميزات، فى حين لو تصفحنا الصفحات سنجد أن الكاتب استعمل أسلوب التشويق، فيمكن للطفل الذى يمتلك صعوبة فى القراءة ومشكلة فكرية أن يستعين بالقرص الموجود فى أسفل الصفحة ويستمع إلى القارئ فى أن يساعده على فك شفرات الحروف. كذلك أن محتوى القصة هو تعريف الفصول فهى ذات مغزى تعليمى ولكن بأسلوبٍ منمقٍ لطفل يحمل إعاقة أسلوب يجعل الطفل يفهم حتى ولو بنسبة قليلة ولنا هنا بعض صفحات من القصة.

فهذه الصورة يسرد القارئ حكاية عن فصل الربيع مستعملاً الذئب والراعى فى تسيير الأحداث، والمُلَاحظ هنا استعمال الحجم الكبير للذئب والحروف الواضحة.

فصل الشتاء، الطفل ينظر إلى الصورة ويتخيل الأحداث، ولكن يبدع الكاتب فى تضخيم الصوت واستعمال منبه الدراجة ليضع الطفل فى الإطار ويشارك الذئب فى الموقف الموجد فيه، وهذا الذى يجب أن يدركه القارئ عندما يسرد قصة لطفل ذى احتياجات خاصة، لكن لا يستعمل جانب التعاطف المفرط؛ لكى لا يشعر هذا الأخير بإعاقته.

فالقصة الجيدة يجب أن تقوم على أسلوب الوضوح والتفسير، فحسب د. الهيتى إن الأسلوب الجيد والمميز فى قصة الأطفال تقوم على ثلاثة عناصر: الوضوح، والقوة، والجمال، فى حين يضيف أحمد نجيب عنصرًا آخرًا هو الجمال؛ إذ يقول: "الجمال ينبع من العنصرين السابقين بجانب سريان الأسلوب فى توافق نغمى وتآلف صوتى واستواء موسيقى". فالقصة هى أسلوب علاجى ناجح يؤتى ثماره عندما يبدأ الطفل فى استخدام الأساليب الجيدة فى التعامل مع المحيط الخارجى أو الداخلى كالأسرة. فنستنتج بذلك أن القصة تُعد أسلوبًا علاجيًّا فعَّالًا يمكنها أن تمحو مشاعر الحيرة والقلق التى يعانى منها الطفل.

فالقصة تتطلب شخصيات ذات بساطة فكرية، وباختصار إن العنصر النفسى يجعل القصة تعيش مع مَن يسمعها أو يقرؤها حيث يلتقى هذا السامع أو القارئ مع بعض شخصيات كقصة Le loup qui ne voulait plus marcher ، شخصيات بسيطة، مستمدة من الواقع المعيشى، وخاصة أن أداة التخويف فى بعض الأحيان عند الأمهات هو "الذئب"، لذلك كاتب القصة استعمل هذا الحيوان كرمزٍ للشر أولاً وإعطاء العبرة ثانيًا.

كما أن قراءة القصة لطفلٍ متخلف ذهنيًا تعمل على تحسين الفكر، وذلك من خلال تعديل أساليبهم السلوكية التى تتسم بالحساسية والعدوانية، والتى ترجع فى جزءٍ كبيرٍ إلى مواقف الإحباط والنبذ المدركة بواسطة أقرانهم من المعاقين والعاديين. فهذه الفئة تستوجب طريقة معينة فى سرد أحداث قصة أو قراءة كتاب. فما شروط سرد قصة لطفلٍ متخلف فكريًا؟

شروط سرد القصة:

للقراءة أهدافٌ وظيفية عامة، وهى: أنها تسهم فى بناء شخصية الفرد عن طريق تثقيف العقل واكتساب المعرفة، ثانيًا تقوم على التبسيط وهو الركن الأساسى فى مجال الكتابة للطفل، وهذا راجع إلى التحليل السلوكى للطفل باعتبار الكاتب مجبورًا على التبسيط القائم على المثير والاستجابة، ولهذا يجب كتابة القصص فى ظروف ينبغى إرجاعها لطبيعة الطفل الذى يكون غير قادرٍ على فَهْم الكلمات التى تحمل معنى عميقًا يصعب تفسيرها لطفلٍ يحمل بعض الإعاقات الفكرية. لذلك فإن عملية سرد القصة مباشرة من كتاب يُفضَل أن يكون

الكتاب كبيرًا مزدانًا بالرسومات ملونة وواضحة، إضافة إلى استعمال الأسلوب الشفاهى؛ فهو ينمى القدرة على التركيز والإصغاء الجيد دون مساعدة الصور، مع التركيز على مبدأ التكرار الذى يخدم الأطفال أصحاب التخلف الذهنى وتكسبه هذه العملية ثراءً لغويًا، ومن ثمة التغلب على بعض النصوص التى قد تعلو فيها اللغة الموظَّفة فى الكتابة.

أيضًا استعمال أسلوب التقليد والتمثيل؛ فالطفل يحب أن يمثل ويلعب أدورًا اجتماعية، فى حين أن الخيال يعمل على تنشيط ذاكرة الأطفال وإشباع فضولهم وخاصة إذا ما كانت الشخصيات مألوفة لعالمه بحيث يتعايش معها فى خيالية كالنموذج التالى " Je Découvre les Transports"، هذا الكتاب يشرح للأطفال كيفية استعمال وسائل النقل مع تميز كل وسيلةٍ بالصفارة المناسبة لها. كذلك اعتمد حجم الكتاب وهو "الكبر"، وثانيًا على مبدأ الرسومات الواضحة والملونة؛ لأن اللون بالنسبة للطفل المعاق تكون له قيمة كبيرة، فمن خلال اللون يمكن التميز بدرجة جيدة، ثالثًا استعمال الصوت وهو بالنقر على اللوحة الموجودة على يسار الكتاب فتحدثُ ترجمة للصوت المراد معرفته، فعلى سبيل المثال وبالتحديد فى الصفحة (١٦)، والتى ترمز إلى وسيلة النقل الجوية "هليكوبتر" حيث كُتب فى أعلى الصفحة النص التالى " Appuie sur le bouton et découvre le son de l’hélicoptère" فى هذه اللحظة يستعمل الطفل الزر ليستمع إلى صوت هيلكوبتر، وبالتالى تكون هناك عملية مزدوجة بين الكلمة والصورة، وهذه العينة من الكتب لها أهمية كبيرة؛ فهى تنمى العملية الإدراكية واللغوية والمعرفية والفسيولوجية، كما أنها تعمل على استقبال المُثيرات الخطابية ونقلها إلى مراكز معينة فى الدماغ، ومن ثم معالجة هذه المميزات والتعامل معها من خلال أسلوبٍ جيدٍ فى القراءة.

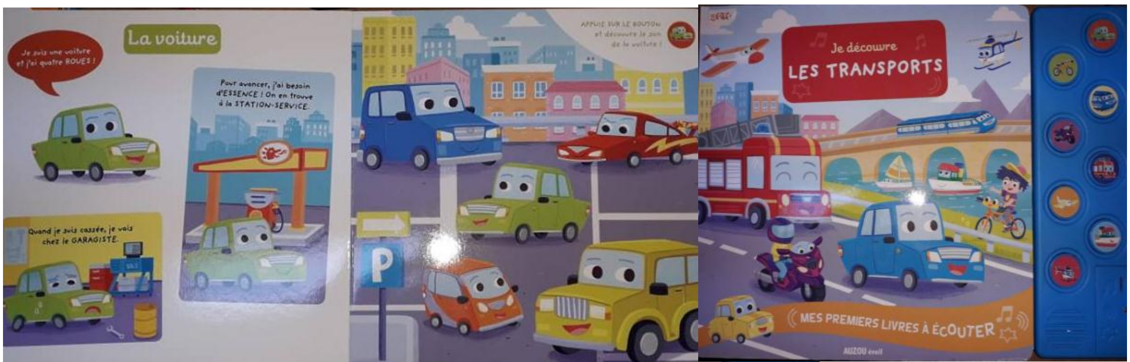

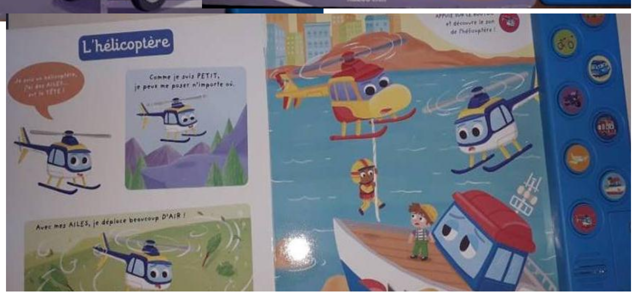

(١)

(١) Je découvre les transports, Illustré par Gabriele Tafuni, Editions Auzou éveil, ٢٠١٧.

هذه القصة استخدمت الآلات الموسيقية عند تصفح القصة لأجل إضفاء المتعة وإبهار الطفل. ففى هذا النموذج عند الضغط على زر معين فى الكتاب يصدر صوت الآلة، فعند معرفة صوت محرك السيارة فما على الطفل إلا الضغط بمساعدة من يكون معه أثناء عملية القراءة، فالمثال الموجود أمامنا يقول باللغة الأجنبية: " Pour avancer, j'ai besoin d'Essence ! On en trouve à la station service. بمعنى لأتقدم إلى الأمام أحتاج إلى البنزين. اذهب إلى محطة الوقود. فى حين ترغب فى سماع صوت السيارة اضغط على شكل السيارة الموجود على يمين الكتاب " Appuie sur le bouton et découvre le son de la voiture"

إن هذا الأسلوب الذى يختاره القاصّ فى عملية السرد يُكْسِب الطفل مهاراتٍ جديدة، سلوكيات تتناسب مع مراحل عمره وتحفز مهارة الاستماع والمشاركة لدى هذه الفئة المعينة من الأطفال ذوى الاحتياجات الفكرية الخاصة؛ لأن الحث على الاستماع والإنصات يستطيع توسيع نطاق مهارات الانتباه. هذه العملية تمكن الأطفال من اكتشاف العالم من حوله وتربطه بالعالم المحيط به، وتمكنه من توسيع معلوماته العامة. هذا الأسلوب هو أسلوب الوساطة حسب النموذج التطورى "لبرونفنير" الذى يمثل دائرة داخلية بين الطفل والأهل وخاصة الأم التى يكون لها تأثيرٌ كبيرٌ فى تطويره, فالوساطة حسب برونفنيرنر ١٩٧٩Brofenbrenner تتطور ضمن إطار روابط اجتماعية مترابطة بعضها ببعض"[١]، كذلك تتم هذه الوساطة عندما تقدمه الأم حوافز لطفلها من خلال مراعاته ومراعاة مستواه الفكرى والنفسى من خلال اختيارها للأمثلة والألفاظ التى يمكن أن يتحملها طفلٌ معاق مع عملية التشجيع وإعطاء الشعور بالقدرة Providing success and increasing feelings of competence. فعملية التشجيع تعطى للطفل المعاق الثقة فى النفس مع تشجيعه بكلمات ومركبات النجاح مثل: "أنت ممتاز. أنت رائع جدًا" أنت طفل كبير، وغيرها من المفردات؛ لأن الكلمة الجميلة تشعر الطفل بالرضاء عن نفسه وخاصة إذ كانت الكلمة من طرف الأم؛ لأنها بالنسبة له تمثل القدوة والمثل الأعلى، وأنها لا يمكنها أن تكذب عليه، وبالتالى فالكلمات تحفزه على المضى قدمًا.

كهذا المثال الصغير لطفلة من الواقع، طفلة تحمل إعاقة تشارك أصدقاءها حفلة "هالوين"، رغم إعاقتها ألا أنها استوعبت حسب قدرتها الفكرية كيف تشارك الأطفال هذه الحفلة وتتنكر معهم. وتبتسم كأن لا شىء يؤلمها رغم فكرها البسيط.

[١] صفية حسونة: قراءة الأم القصة وتأثيرها على تحصيل الطفل فى صفى البستان الأول، عرفات، العدد الثانى، ٢٠١٢، ص ٢١٦.

خاتمة:

يواجه بعض الأطفال وخاصة من تكون لهم إعاقة عقلية من عدة صعوباتٍ أثناء تعلمهم القراءة نتيجة تداخل عدة عوامل منها: السمعى والبصرى وبالتحديد الذاكرة والذكاء مما يجعل عملية القراءة صعبة وتعيق مسيرتهم الدراسية، لذلك ارتأينا أن عملية القراءة وخاصة قراءة القصص فى الليل تزود الطفل بمهاراتٍ لغوية من خلال التمثيل والأغانى أيضًا تنمى القدرات اللغوية وتُعويده على الحوار والتخاطب والزيادة فى امتلاك ناصية اللغة الفصحى، مع قدرته على القراءة والاستيعاب، إضافة إلى التنوع المعجمى لإنتاجيات اللفظية. فاللغة تمثل البعد الإنسانى الجمالى، تؤثر على فكر الطفل وتستهويه فيبتعد بخياله وتنسجم لديه الأفكار مما تجعله قادرًا على الحفظ، وهذا ما يمكن أن نجده فى مختلف الكتب والقصص المُقَدمة للطفل العادى والطفل ذى الاحتياجات الخاصة التى تمكنه أولا من تنمية شخصيته والنهوض بالذوق الأدبى لديه، ومن ثم تحقيق الهدف الرئيسى فى الحصول على شخصية متوازنة ومترفة. فالقصة هى فن ككل الفنون التى يمكن لها أن تساهم فى بلورة الفكر البشرى، وبالتحديد العقول الصغيرة التى ما زالت لها مساحات كبيرة لتستوعب مختلف خصوصيات الحياة، فالأدب يعمل على صقل شخصية الإنسان، والقصة تعمل على بناء شخصية الطفل، فأغلب المجتمعات تربت على الأحاديث المنقولة أو الأحاديث المستوحاة من الحياة اليومية، ولكن لكل واحدةٍ أسلوبها الخاص ومهارات عميقة فى بناء شخصية الفرد، لذلك - وفى الأخير وليس آخر الأمر - يمكن القول بإن حكايات الجدة ما هى إلا وسيط لبرمجة عقل الطفل أو وسيلة لخوض غمار الحياة، ولكن الحياة تكون مختلفة لأن الشخصيات المُقَدمة فى القصة تكون أغلبها خيالية، وهذا ما يجعل الطفل يستمع بشغفٍ إلى هذه الحكايات، فالأسلوب المعتمد فى التعامل معه هو الخيط الرفيع فى تمكينه من استيعاب الأحداث وإعادة صياغتها حسب تفكيره ومدى فهمه لمغزى الحكاية. فهذا الكائن الصغير (الطفل المعاق) يكون أكثر عرضة إلى الصدمات فى الحياة، فيستوجب علينا مراعاته وتقديم المساعدة له بوسائل بسيطة تدخل البهجة له كالقصة. فإلى أى حد ستظل القصة معتمدة ومبرمجة فى المناهج الدراسية لتنمية قدرات الطفل ذى الاحتياجات الخاصة؟ وإلى أى حد يمكن تخصيص كتب معينة لهذه الفئة؟.

المراجع:

١ـ إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافى: أدب الأطفال المنظوم (شعر الأطفال اتجاهاته ونقده) مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية (د.ط)، ٢٠٠٩-٢٠٠٨.

٢ـ صفية حسونة: قراءة الأم القصة وتأثيرها على تحصيل الطفل فى صفى البستان الأول، عرفات، العدد الثانى، ٢٠١٢.

٣ـ صلاح فضل: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، دار الشرق، ط١، ١٩٩٨.

٤ـ عزيزة مريدن: القصة الشعرية فى العصر الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

٥ـ عبد العزيز نبوى، دراسات فى الأدب الجاهلى، مؤسسة المختار ، القاهرة (ج ـ م ـ ع) ط١، ٢٠٠٤، ص١٠.

٦ـ محمد أديب ألحاجى: أدب الأطفال فى المنظور الإسلامى، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن: عمان، ط١.

٧ـ مهى جرجور: طفلى ماذا أقرأ له؟ ص١٧.

٨ـ هادى نعمان الهيتى: ثقافة الأطفال ،عالم المعرفة، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والأدب، الكويت، العدد١٢٣، ١٩٩٨.

٩ـ الآية ٣ سورة يوسف.

١٠- Max Wartofsky, the child’s construction of the word and the world’s construction of the child from historical epistemology to historical psychology in the child and other cultural invention, ed,F,S, Kessel and A.W Sigel . New York. Praeger,١٩٨٣,P ١٩٠

١١- Je découvre les transports, Illustré par Gabriele Tafuni, Editions Auzou éveil,٢٠١٧

١٢- Orianne Lallemand, Eléonore Thuillier, Le Loup qui ne voulait plus marcher, Editions Auzou,٢٠١٣